

## مقامات جلال الدين السيوطي: دراسة نقدية

إساعيل عمارة عقيب\*

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا بحث عن المقامات الأسيوطية حاولت فيه أن أعرف بمقاماته وخصائصها الفنية وأغراضها الموضوعية والأسباب التي جعلته يكتب في هذا الفن - فن المقامات - وقد اجتهدت - قدر وسعي - أن أستنتج بنفسني خصائصها ومميزاتها من خلال التعامل مع النصوص، هذا وقد بذلت جهدي المقل، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

والبحث يتكون من ثلاثة مباحث، على الشكل الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وشيوخه، وثقافته، ومؤلفاته، ثم الأسباب والدوافع في كتابة المقامات.

المبحث الثاني: موضوعات المقامات، وخصائصها الفنية.

المبحث الثالث: دراسة وتحليل لنوعين من المقامات: نوع على غرار مقامات بدیع الزمان، ونوع مخالف له.

المبحث الأول: التعريف بالسيوطي وشيوخه وثقافته ومؤلفاته

١- اسمه وأسرته<sup>(١)</sup>

هو عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين

محمد بن سيف الدين حضر بن نجم الدين بن الشيخ همام الدين الحضري الأسيوطي.

ينتمي السيوطي إلى أسرة ظهر فيها رجال انقطعوا إلى طلب العلم، منهم جده الأعلى همام الدين

\* أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد - باكستان.

١- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ٤، ص ٧٠.

الذي كان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطريق<sup>(٢)</sup>، وأما الذين هم دونه فقد كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، ويذكر السيوطي أنه لا يعرف من آباءه من خدم العلم حق خدمته إلا والده كمال الدين أبابكر بن محمد الذي كان من فقهاء الشافعية، وتولى القضاء بأسبوط قبل قدومه إلى القاهرة، ودرس بالجامع الشيوخوني، وخطب بالجامع الطولوني، وقد ترجم له السيوطي<sup>(٣)</sup>.

## ٢- نشأته

ولد السيوطي في القاهرة بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب عام ٨٤٩هـ<sup>(٤)</sup>، ونشأ يتيماً حيث توفي والده سنة ٨٥٥هـ، وقد درج السيوطي على سنن أبيه في تلقي العلم، وبدأ تحصيله على أيدي كبار علماء عصره.

## ٣- شيوخه

تتلمذ السيوطي على شيوخ عدة، وقد جمعهم في معجم كبير، ذكر فيه من تلقى عنهم، أو أجزى منهم، وبلغوا نحو مائة وخمسين شيخاً<sup>(٥)</sup>، بيد أننا نذكر الشيوخ الذين ترجم لهم السيوطي في كتابه حسن المحاضرة فقط.

## ١- البلقيني (٧٩١-٨٦٨هـ)

هو قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان، حامل لواء المذهب الشافعي في عصره، وله مصنفات، وقد لازمه السيوطي في دروس الفقه إلى أن مات بالقاهرة<sup>(٦)</sup>.

## ٢- المناوي (٧٩٨-٨٧١هـ)

شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد، شيخ الإسلام قاضي القضاة، وله تصانيف، قرأ

---

٢- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج ١، ص ٣٣٦.

٣- المرجع السابق، ج ١، ص ٤٤١، وانظر: عبد الحى بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ٩، ص ٤١٥. وانظر: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٦٩.

٤- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٣٣٥.

٥- انظر: المرجع السابق.

٦- المرجع السابق، ج ١، ص ٤٤٤، والزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٩٤.

عليه السيوطي قطعة من المنهاج وسمع منه دروسا في الفقه وتفسير البيضاوي، قال فيه السيوطي: "هو آخر علماء الشافعية ومحققهم"<sup>(٧)</sup>.

٣- الكافي (٧٨٨-٨٧٩هـ)

محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي، قال فيه السيوطي: "الإمام المحقق، علامة الوقت، أستاذ الدنيا في المعقولات، وقد لازمه السيوطي أربع عشرة سنة، فأخذ عنه التفسير، والأصول، والعربية، والمعاني، وغير ذلك، وكتب له إجازة عظيمة. وله تصانيف كثيرة"<sup>(٨)</sup>.

٤- الشارمساحي<sup>(٩)</sup> (المتوفى سنة ٨٦٥هـ)

شهاب الدين أحمد بن علي الشارمساحي الشافعي، كان إماما في الفرائض والحساب. قال السيوطي: "وأخذت الفرائض عن العلامة فرضي زمانه، الشيخ شهاب الدين الشارمساحي الذي كان يقال: إنه بلغ السن العالية وجاوز المائة بكثير"<sup>(١٠)</sup>.

٥- سيف الدين الحنفي (٨٠٠-٨٨١هـ)

محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا، العلامة الورع الزاهد العابد، برع في الفقه والأصول والنحو، وله حاشية على التوضيح كثيرة الفوائد. قال السيوطي: "وهو آخر شيوخ موتا، لم يتأخر بعده أحد ممن أخذت عنه العلم إلا رجل قرأت عليه ورقات من المنهاج"، وقد رثاه السيوطي<sup>(١١)</sup>.

٦- الشمسي (٨٠١-٨٧٢هـ)

تقي الدين أبو العباس أحمد بن المحدث كمال الدين محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري القسنطيني الأصل. قرأ عليه السيوطي قطعة كبيرة من المطول للشيخ سعد الدين التفتازاني، ومن التوضيح

٧- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٤٤٥ وانظر: الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ١٦٧.

٨- انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣٨ و ص ٥٤٩. والزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٥٠.

٩- نسبة إلى شارمساح: براء مكسورة ثم سين مهملتين نسبة لقرية من ريف مصر بحري الفسطاط بالقرب من دمياط من الدهقلية. محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ١١، ص ٢٠٩.

١٠- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٣٣٦، ونجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٢٨. وعمر بن رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص ٣٢٠.

١١- انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٧٨ والأعلام، ج ٧، ص ٥٠ ومعجم المؤلفين، ج ١١، ص ٢٥٥.

لابن هشام<sup>(١٢)</sup>.

### حياته العلمية

بدأ السيوطي حياته العلمية مبكراً، فحفظ القرآن وهو دون ثماني سنوات، ثم حفظ عمدة الأحكام، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك، ومنهاج البيضاوي، وعرض محفوظه على علماء عصره فأجازوه. كان متوقداً للذهن حاد الذكاء قوي الحافظة سريع الحفظ، مما ساعده على حفظ كم هائل من المتون العلمية المشهورة، وكان أول مؤلفاته شرح للاستعاذة والبسملة.

### ثقافة السيوطي

كان بحراً لا يجارى، وحريراً لا يبارى، وفارساً لا يبارى، غزير الاطلاع، كثير المحفوظ مما كان سبباً في تقدمه على سائر معاصريه وأقرانه، وقد ذكر هو عن نفسه في حسن المحاضرة فقال: "ورزقت التبخر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عن هو دوني، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه أوسع نظراً، وأطول باعاً... وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخر"<sup>(١٣)</sup>.

ومما يدل على ذلك كثرة مؤلفاته، وتنوع مواهبه ومعارفه، أما شعره الذي أورده في كتابه حسن المحاضرة فهو بالنسبة لكثرة محفوظه وسعة اطلاعه في المعقول والمنقول، أقل مرتبة، وأدنى درجة، وأحط مستوى، شأنه في ذلك شأن العلماء الفقهاء في العلوم وإن كان بعضهم أتى بالجيد منه.

### مصنفاته

أثرى السيوطي المكتبة الإسلامية، فلا تكاد تجد فناً إلا وللسيوطي فيه نصيب من تأليف مطول، أو رسائل مختصرة، أو شرح مفيد، أو نكت لطيفة ظريفة، فالسيوطي مفخرة من مفاخر علماء المسلمين، ونادرة من نوادر الزمان، وإن الواحد منا ليعجب كيف سنع له الزمن لأن يكتب هذه المكتبة الثرية المتنوعة في فنون مختلفة، وعلوم شتى، ولما ترجم السيوطي لنفسه في حسن المحاضرة ذكر عدد مؤلفاته التي ألفها إلى وقت

١٢- انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٧٤ والأعلام، ج ١، ص ٢٣٠ ومعجم المؤلفين، ج ٢، ص ١٤٩.

١٣- انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٩٠.

ترجمته حينئذ قال: "بلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه"<sup>(١٤)</sup>. وعندما ترجم له تلميذه ابن إياس الحنفي قال عنه: "كان عالما فاضلا بارعا في الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم... وكان كثير الاطلاع نادرة في عصره بقية السلف وعمدة الخلف، وبلغت عدة مصنفاة نحو من ستائة تأليف، وكان في درجة المجتهدين في العلم..."<sup>(١٥)</sup>.

ولقد أحصيت ما ذكره إسماعيل باشا البغدادي صاحب كتاب هدية العارفين<sup>(١٦)</sup> فوجدت كتبه ثمانية وثلاثين وخمسة مائة مؤلف، على أن هذه الكثرة ليست على حقيقتها، إذا علمنا أن إسماعيل باشا البغدادي ذكر سبع مقامات في جملة مؤلفاته، ثم عد له تسعا وعشرين مقامة على حدة، في حين أن المقامات المذكورة أولا هي ضمن المقامات التسع والعشرين عدا مقامة رشف الزلال من السحر الحلال، وكذلك القول بالنسبة لكتابه الحاوي في الفتاوى، فقد ضم حوالي ثمانية وسبعين كتابا كانت مذكورة منفردة<sup>(١٧)</sup>.

والحقيقة التي نخرج بها أن السيوطي رحمه الله من العلماء الكثيرين من التأليف والتصنيف، ومما يهمننا هنا أن نذكر له جملة من مؤلفاته الضخمة التي هي أصول لغيرها لاستيعابها، أو عمدة في بابها، وإن كانت صغيرة في حجمها:

#### في التفسير وعلوم القرآن

- ١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن
- ٣- تكملة تفسير الجلالين الموسوم بتفسير الجلالين من سورة البقرة إلى الإسراء
- ٤- لباب النقول في أسباب النزول
- ٥- التحجير في أصول التفسير
- ٦- تناسق الدرر في تناسب السور
- ٧- حاشية على تفسير البيضاوي المسماة: نواهد الأبيكار وشواهد الأفكار
- ٨- الإكليل في استنباط التنزيل

١٤- انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣٣٨ ومعجم المطبوعات العربية، ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨.

١٥- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ج ٤، ص ٨٣.

١٦- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج ١، ص ٥٣٤-٥٤٤.

١٧- انظر: مقدمة الأشباه والنظائر، تحقيق: عبد الإله نبهان، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج ١، ص ٢٣.

## وفي الحديث وعلومه

- ١- الجامع الصغير في حديث البشير والنذير
- ٢- جامع المسانيد
- ٣- تنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك
- ٤- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي
- ٥- زهر الربى على المجتبى وهو شرح على سنن النسائي
- ٦- مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه
- ٧- ألفية في مصطلح الحديث
- ٨- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

## في النحو والصرف واللغة

- ١- الأشباه والنظائر في النحو
  - ٢- جمع الجوامع في النحو وشرحه همع الهوامع
  - ٣- لمعة الإشراف في الاشتقاق
  - ٤- شرح ملحمة الإعراب
  - ٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها
  - ٦- شرح شواهد مغني اللبيب
  - ٧- نكت على الألفية
  - ٨- نكت على الشافية
  - ٩- نكت على الكافية
  - ١٠- طبقات النحويين
- أما في الفقه وعلومه فقد أُلّف

- ١- الحاوي في الفتاوى
- ٢- شرح الروضة للنووي في الفروع
- ٣- خلاصة في نظم الروضة
- ٤- أسباب الاختلاف في الفروع

- ٥- الأشباه والنظائر في الفقه  
٦- الينبوع فيما زاد على الروضة في الفروع  
٧- الوجيز في طبقات الفقهاء الشافعية

وأما في علم البديع فقد كتب

- ١- عقود الجمان في المعاني والبيان  
٢- طبقات البيانين

كما كتب في التاريخ وفي الطب، وإضافة إلى ذلك فله ديوان شعر، وغير ذلك.

وفاته

توفي السيوطي رحمه الله بعد أن أغنى المكتبة العربية بمئات المصنفات، سحر ليلة الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة، عن عمر يناهز اثنين وستين عاما، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة<sup>(١٨)</sup>.

وما يهمننا في هذا البحث هو التعرف على المقامات السيوطية، وقيمتها الفنية والأسلوبية، ومدى

تأثره بالمقاميين القدامى كبديع الزمان الهمداني والحريري، وما أضافه السيوطي في هذا الفن:

أولاً: عدد المقامات والداعي إلى تأليفها

أنشأ السيوطي ثلاثين مقامة<sup>(١٩)</sup>، والتي اطلعت عليها تسعا وعشرين مقامة فقط، بتحقيق وشرح سمير محمود الدروبي، لأنه استبعد أن تكون مقامة "رشف الزلال من السحر الحلال" من نسيج جلال الدين السيوطي، العالم الفقيه المحدث، صاحب الإلتقان والجامع الصغير والكبير على حد تعبيره<sup>(٢٠)</sup>، لذا نراه لم يعدها من مقاماته، رغم أن صاحب كشف الظنون وصاحب هدية العارفين ذكراها من مؤلفاته.

وأما الأسباب والدوافع التي حدت السيوطي بأن يكتب هذه المقامات فهي كثيرة، ولكن أهمها

في نظري الآتي:

- ١٨- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤، ص ٨٣.  
١٩- تحقيق سمير الدروبي، شرح مقامات جلال الدين السيوطي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج ١، ص ١٤١.  
٢٠- على رأي المحقق سمير محمود الدروبي، مقدمة شرح المقامات، ج ١، ص ١٤٣، وفيه رأي من يقول: أن له أكثر من ذلك. فقد ذهب محمود رزق سليم إلى أنها نحو أربعين وذهب محمد الشرفاوي إقبال إلى أنها سبع وثلاثون مقامة، وفيه من أبعده وأغرب في القول فقال: مائة وعشرون مقامة. راجع: مقدمة المحقق، ج ١، ص ١٣١-١٣٤.

- ١- مجارة ومساجلة المقامين السابقين كالحريري<sup>(٢١)</sup> مثلاً، نلاحظ هذا بشكل واضح في المقامات الأولى التي سجلها وهي: "الأسيوطية، والمكية، والجيزية، والمصرية".
- ٢- التدليل على البراعة الأدبية، والملكة اللغوية على امتلاك ناصية اللغة، نستشف هذا من المقامات كلها، وخاصة المقامة المكية ومقامة بلبل الروضة.
- ٣- التدليل على الموسوعية في الفنون، والإحاطة بالعلوم، إذ السيوطي متعدد المواهب، موسوعي الثقافة حاز على قصب السبق في فنون كثيرة، نستنبط هذا من "المقامة البحرية والتفاحية والدرية".
- ٤- الرد على منافسيه وأقرانه، وتبرئة نفسه مما رمي به، نجد هذا في المقامات الآتية: "الكاوي في تاريخ السخاوي، والدوران الفلكي على ابن الكركي، وطرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة، والفارق بين المصنف والسارق" وكذلك في مقامة "ساحب سيف على صاحب حيف".
- ٥- الانتصار لعمر بن الفارض<sup>(٢٢)</sup>، الشاعر الصوفي المشهور.
- ٦- نقد الواقع الذي كان يعيشه، كنقد المتصوفة المخادعين، ونقد السلاطين الجائرين، ونقد القصاصين المشعوذين.

- ٢١- القاسم بن علي أبو محمد الحريري البصري، صاحب كتاب المقامات الحريرية ودرة الغواص في أوهم الخواص، وملحة الإعراب وغيرها، كان غزير العلم، كثير الحفظ، دميم الوجه. ولد بالمشان (بلدة فوق البصرة) وتوفي بالبصرة، نسب إلى عمل الحرير أو بيعه. وكان ينتسب إلى ربيعة الفرس. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المشهور بابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ٦٣، والأعلام، ج ٥، ص ١٧٧.
- ٢٢- عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض: أشعر المتصوفين، لقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بها يسمى بـ: "وحدة الوجود" قدم أبوه من حماة بسورية إلى مصر، فسكنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، فغلب عليه التلقب بالفارض، نشأ ابنه عمر بمصر واشتغل بفقهِ الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، ذهب إلى مكة وسكنها خمسة عشر عاماً، ونظم أكثر شعره هناك، ثم عاد إلى مصر، كان جميلاً، حسن الهيئة، حسن الصحبة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، سخياً جواداً، قال المناوي: واختلف في شأنه، كشأن ابن عربي وغيره، وكثرت التصانيف من الفريقين في قضية شعره ومشربه. وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٥٤، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ج ٣، ص ٢١٥، ومحمد بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ٥، ص ١٤٩، والأعلام، ج ٥، ص ٥٥.



١- النحو واللغة والألغاز والأحاجي

لقد جرى السيوطي في بداية حياته الحريري في مقاماته، بمعنى أنه اتسمت مقاماته بالشكل القديم الذي ابتدعه بديع الزمان "أحمد بن الحسين"<sup>(٢٤)</sup>، وبما أن الحريري أورد الألغاز وتصنع في سبك مقاماته، بترصيع ألفاظها، وزخرفة كلماتها، كذلك صنع السيوطي في مقاماته الأربع الأولى التي التزم فيها نهج بديع الزمان، فوشحها بالأحاجي والألغاز اللطيفة التي صنعها بنفسه في "المقامة الأسيوطية"، ونجد هذا الغرض مبسوطاً في المقامات الأولى من تأليفه "الأسيوطية، والمكية، والجزيرية، والمصرية".

٢- الدفاع عن ابن الفارض الشاعر الصوفي المشهور

عمر بن الفارض، من كبار المتصوفة في القرن السابع الهجري، ترك بعد وفاته سنة ٦٣٢هـ ديواناً مشهوراً، فكان مثار جدل بين العلماء في عصره وبعد موته، مؤيدين له، ومؤولين أشعاره لما يوافق حاله، وبين معترضين عليه وثالبيينه وخاصة في قصيدته الثائية، وكان جلال الدين السيوطي من جملة العلماء الذابيين والمدافعين عنه، والمؤولين له التأويل الحسن، لذا نافح عنه، وانبرى للمعترضين بالذود عنه وسمى مقامته: "قمع المعارض في نصرة ابن الفارض".

٣- محاربة القصاصين والوضاعين للحديث

تصدى جلال الدين السيوطي لظاهرة القصاصين الذين يجذبون الناس بأحاديثهم الغريبة، وحكاياتهم العجيبة التي كانت منتشرة وموجودة في عصره، كما حارب أيضاً الوضاعين للحديث الذين يخلقون الأحاديث على صاحب الشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نلاحظ هذا في مقامته التي سماها "الفتاش على القشاش".

---

٢٣- سمير محمود الدروبي، شرح المقامات السيوطية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص٤٦-٧٥.

٢٤- أحمد بن الحسين بن يحيى الهمداني أبو الفضل المعروف بـ: بديع الزمان، صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات المبتكرة الفائقة، ولد في همدان، وانتقل إلى هراة سنة ٣٨٠هـ فسكنها، أخذ عنه الحريري أسلوبه في مقاماته، كان شاعراً مجيداً، وناثراً مبدعاً، قوي الحافظة، سريع البديهة يضرب به المثل في حفظه وسرعة ارتجاله، ثم ورد نيسابور سنة ٣٨٢هـ ودارت بينه وبين أبا بكر الخوارزمي مساجلة فطيرت صيته في الآفاق، وحظي بجوائز الملوك والأمراء، وجلبت له عداوات فمات مسموماً في هراة. وفيات الأعيان، ج١، ص١٢٧، والأعلام، ج١، ص١١٠.

#### ٤- السرقات التأليفية

فقد استشرى هذا المرض، وانتشرت هذه التهمة بين المؤلفين، فنجد مثلاً الإمام السخاوي المعاصر لجلال الدين السيوطي يرمي المقرئزي<sup>(٢٥)</sup> المؤرخ بالسرقة حيث قال: "وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة، وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحدي<sup>(٢٦)</sup>، فأخذها وزادها زوائد غير طائفة"<sup>(٢٧)</sup>.

وقد سجل لنا السيوطي هذه الظاهرة المستشرية في مقاماته الثلاث:

١- مقامة الفارق بين المصنف والسارق

٢- مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي

٣- مقامة ساحب سيف على صاحب حيف

والسيوطي في هذه المقامات يدافع عن نفسه مما اتهمه به السخاوي، نلاحظ هذا في مقامة "الفارق بين المصنف والسارق"، حيث يتهم السخاوي وغيره بالسطو على مصنفاته، وخاصة كتابيه: الخصائص الكبرى، وتمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش.

#### ٥- النقد التاريخي

نرى هذا جلياً واضحاً في مقامته المسماة "الكاوي في تاريخ السخاوي"، حيث إنه نقد منهجه، ونقض نسجه في طريقته في الجرح والتعديل، واتهمه بأنه يأكل لحوم العلماء، ويلغو في أعراض المسلمين وذمارهم، ويصحف في الحديث، ويلحن في الكلام...

#### ٦- النقد السياسي

تناول المؤلف المشاكل السياسية والصراعات الداخلية التي تعج بها مصر وقتئذ، ولكنه لم يشأ التصريح بالأسماء والأحداث حتى يبقى بعيداً عن دائرة المساءلة السلطانية، ففي مقامة الرياحين، والمسكية،

---

٢٥- أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقرئزي، مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة "من حارات بعلبك في أيامه"، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، ومن أشهر كتبه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقرئزي. الأعلام، ج ١، ص ١٧٧، ومعجم المؤلفين، ج ٢، ص ١١.

٢٦- أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان الأوحدي شهاب الدين، مؤرخ من أهل مصر. له كتاب كبير في خطط مصر والقاهرة. محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٣٥٨، والأعلام، ج ١، ص ١٥٩، ومعجم المؤلفين، ج ١، ص ٢٨٧.

٢٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ١، ص ٣٥٨.

والياقوتية اتخذ من هذه المسميات رمزا للقضايا التي ينتقدها، ففي مقامة الرياحين مثلا يطرح المؤلف مشكلة بين أنواع الأزهار سائلاً إياها عن المستأهل لأمر الملك والجدير بتولي الخلافة، ثم يعرب كل نوع عن مكوناته ورأيه، ويفصح كل شخص عن مدفونه وفهمه، وبعد نهاية المطاف والحوار يتفقون على تحكيم رجل يفصل النزاع ويقطع الخصام فيحكم بينهم بالعدل والإنصاف من غير جور ولا إجحاف، فيقضي لهم بأنهم كلهم ليسوا أهلاً لها، ويسندها للفاغية<sup>(٢٨)</sup>، لأنها أحب الرياحين لسيد البشر صلى الله عليه وسلم، ثم تنتهي المقامة.

#### ٧- الوصف

إن الدارس للمقامات منذ بديع الزمان يجد أن الوصف من الأغراض المستهدفة عند المقاميين، فنجد بديع الزمان يصف الخمر في مقامته الخمرية<sup>(٢٩)</sup>، ويصف الخيل في مقامته الحمدانية<sup>(٣٠)</sup>، وكذلك نجده عند زين الدين بن الوردى<sup>(٣١)</sup> في مقاماته، وصلاح الدين الصفدي حيث وصف كلاهما في مقامتين الحريق الحائل الذي شب في دمشق سنة ٧٤٠هـ وكاد أن يأتي على آخره، ونحن نجد الوصف عند جلال الدين من خلال مقاماته على سبيل المثال: مقامة الرياحين، ومقامة بلبل الروضة، والتفاحية، والفسقية، والزردية.

#### الخصائص الفنية للمقامات الأسيوطية

كما هو معلوم أن أركان المقامة خمسة: البطل والراوية، والسجع، والموضوع، والمزج بين الشعر والنثر، وإن القارئ للمقامات السيوطية ليجد هذه الشروط الخمسة متوفرة في مقاماته التي نسجها في بداية حياته التأليفية، أعني الأسيوطية، المصرية، والجزيرية، والمكيتية.

٢٨- الفاغية: نور الحناء خاصة، أو أن يغرس غصن الحناء مقلوبا، فيثمر زهرا أطيّب من الحناء فذلك الفاغية، وبمعنى نور كل نبت ذي رائحة طيبة. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج ١، ص ١٣٢٢، والمعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٩٦.

٢٩- أحمد بن الحسين محمد محيي الدين عبد الحميد، مقامات بديع الزمان الهمداني، المكتبة الأزهرية، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ج ١، ص ٤٠١.

٣٠- المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٦.

٣١- عمر بن مظفر أبو حفص، زين الدين بن الوردى المعري الكندي، شاعر وأديب، ومؤرخ. ولد في معرة النعمان، وولي القضاء بمسح، وتوفي بحلب. من آثاره: ديوان شعر فيه بعض نظمه ونثره، وتاريخ ابن الوردى، ومقامات ابن الوردى وغيرها. فوات الوفيات، ج ٢، ص ١١٦ والأعلام، ج ٥، ص ٦٧.

ففي هذه المقامات الأربعة قلد فيها القاسم بن علي الحريري، ولقد أجاد في نظمها، وأبدع في رصفها، وتفنن في ترصيعها، وتأنق في تديبها، مما حدا ببعض الباحثين<sup>(٣٢)</sup> أن يقول بتفضيل المقامة الأسيوطية والمكية على المقامات الحريرية، ولا غرو في ذلك فلقد أحكمها صاحبها إحكاما، وشحها من زخارف القول أفانين وألوانا، وسمى بطله أبا بشر العلابي وراويها هاشم بن القاسم، أما صفات الأول: الفصاحة، والبلاغة، وسعة العلم والمعرفة بالعلوم العربية والشرعية، وكذا المقدرة على حل الأحاجي والألغاز، ومن اللافت للنظر أنه استخدم الوعظ لغرض شريف، وهدف نبيل، فكان البطل مطابقا في صفاته لحال مقاله ومقامه، إذ هو قدوة للناس في منظره ونخبه، وسرعة بديته، وقوة حصاته وحفظه، إضافة إلى ذلك المقدرة على قول الشعر، فله بيتان في المقامة المصرية من شعره، أما صفات الراوية: فالرحلة، والسفر، والتطواف لاقتناص الفوائد، والحصول على الفرائد، فهو يشبه إلى حد ما راوية بديع الزمان والحريري في الارتحال ويختلف عنهما في الغرض منه.

والمقامات لا تعرف الكدية، ولا الوعظ المغشوش المزور للاحتيال، كما أن الراوية يتعرف على البطل في آخر المقامة عندما يسحره بجواهر لفظه، ويأخذ له بزواج وعظه، إذ يحاول التعرف عليه حينئذ ليستفيد منه ويستمتع باللقاء والتفكه بحديثه.

وهناك سؤال يطرح نفسه هو: هل أبو بشر العلابي وهاشم بن القاسم رجلان لهما وجود واقعي في التاريخ؟ والحقيقة أنني لم أجد جوابا لهذا السؤال، ولا دليلا أو ذكرا أو إشارة تفسر حقيقة الشخصين، وغالب الظن أنهما من نسج الخيال.

أما أسلوب المقامات، فمبسوج، ومرصوع، وورصين، ممزوج بأشعار المحدثين، كما له أبيات شعرية من إبداعه، فقد كان السيوطي شاعرا ومن شعره هذه الأبيات التالية: (من مجزوء الخفيف).

منبري طاب سره      لويك الوعظ من بري

عنبري ضاع نشره      لورويناه عن بري<sup>(٣٣)</sup>

وأيضا قال في مقامته التي سماها الكاوي في تاريخ السخاوي: (من مجزوء البسيط)

إن السخاوي فشر      وقال هجرا وكفر

أراد أن ينكر ما      صرنا إليه فكفر<sup>(٣٤)</sup>

٣٢- انظر: شرح مقامات جلال الدين السيوطي، ج ٢، ص ٩٧.

٣٣- المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٢٠.

٣٤- المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٤٨.

وكذلك: (من الكامل)

إن السخاوي جاهل متمخرق  
لا يرعوي عند الصواب إذا أثر  
فإذا أشرت إلى كذوب أحقق  
فإلى السخاوي فهو كذاب أشر<sup>(٣٥)</sup>

وأيضًا: (من السريع)

نظفت تاريخي عن كل ما  
يشينه عند أهيل الإخا  
ولم أكن مثل الذي شأنه  
بالجود ثلبا للورى والسخا

وأيضًا: (من الرمل)

من سخا جاء السخاوي الذي  
ملا التاريخ جودا وسخا  
قيل: هل تصنع هذا؟ قلت: لا  
كثر الله السخاوي وسخا<sup>(٣٦)</sup>

والمؤلف أفعم مقاماته بالأمثال العربية<sup>(٣٧)</sup> وحلاها بالاقتباس من الآيات القرآنية، والاستدلال بالأحاديث النبوية.

ولغة الشيخ لغة جميلة، فصيحة سهلة، خالية من الحوشي والغريب من الكلام، دقيقة الأداء، جيدة السبك، قوية النظم، متينة الرصف، جزلة الألفاظ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكاتب أورد عبارة عامية في مقامة قمع المعارض على لسان البساطي<sup>(٣٨)</sup> في شرح تائية ابن الفارض ردا على الفاتك<sup>(٣٩)</sup>، أرسل منها نسخة للكamal بن المهام<sup>(٤٠)</sup> وقال له:

٣٥- المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٥٠.

٣٦- المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٥٦.

٣٧- انظر: مقامة طرز العمامة، ج ٢، ص ٦٤٧-٦٤٩.

٣٨- محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي أبو عبد الله شمس الدين، فقيه مالكي، من القضاة، ولد في بساط من الغربية، بمصر، وانتقل إلى القاهرة، فتفقه واشتهر، ثم تولى القضاء بالديار المصرية سنة ٨٢٣هـ، واستمر ٢٠ سنة لم يعزل إلى أن مات. الأعلام، ج ٥، ص ٣٣٢.

٣٩- لم أهدد إلى المقصود منه، والذي يفهم من السياق أن الفاتك: هو المعترض والقادح في ابن الفارض.

٤٠- محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم الإسكندري، كمال الدين، المعروف بابن المهام: إمام، من فقهاء الحنفية، كان متقنا لعدة فنون من العلم. أصله من سيواس. ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة. وأقام بحلب مدة، وجاور الحرمين، وكان معظما عند الملوك، توفي بالقاهرة. من أشهر كتبه فتح القدير في شرح الهداية، ثماني مجلدات في فقه الحنفية وغيرها. الأعلام، ج ٦، ص ٢٥٥.

"حش لي هذه عندياتك" (٤١).

دراسة لبعض المقامات الملتزمة لقالب بديع الزمان

أولاً: نبدأ بالمقامات ذوات العناصر المقامية الكاملة

## ١- المقامة الأسيوطية

تتصف هذه المقامة بالشكل التقليدي للمقامات البديعية، فبعد انكشاف الشتاء وحلول الربيع؛ سافر الراوية إلى أسيوط حيث الهواء العليل، والجو الجميل، فجعل يطوف، ويروى فرأى الحدائق الغناء، والبساتين الخضراء، والأشجار بديعة الرواء، ومقل الأطيوار المختلفة الأشكال، المتباينة الألوان، تعزف بألحانها الشذية، وتغرد بأصواتها الندية، وتشدو بنغماتها الفضية، فأخذ ينعش نفسه ويروح عن كلال سفره بالإصاحة إلى قصائدها، وتمثل قول الشاعر فطفق يغرد للربيع، كما تغرد أطيوارها وتزقزق عصافيرها، وبعد فترة من الاستجمام أخذ سمته إلى المسجد، فولج المسجد الجامع لصلاة الجمعة وبعد أدائها، خرجوا منتشرين متفرقين، وبيننا هو كذلك إذ رأى شاباً تقرأ على محياه علامات الذكاء، وعلى جبينه مخائل الفطنة، ينطق بالغرر، ويلفظ بالدرر، فانبهر الناس لفصاحته، ودهشوا لبلاغته ومضت مدة من الزمن بين الحيرة والدهشة في معرفته، ثم استبان أنه صاحبه أبو بشر العلابي، وهناك رجل في المجموعة ينبذ الشاب، ويصمه بالأوصاف الذميمة، فادهم الأمر في وجهه، وضاق ذرعاً من شدة أذاه، فانغمز الراوية بين الناس، وطرح عليهم اقتراحاً يفصل الخصام ويقطع النزاع، فاقترح على المتخاصمين أن يناظروا ويتبارا، ليعرف الأصيل من الهجين، والعريق من الدعي المزليج، فتاح الخصمان للمباراة، وتهايا للمناظرة، وشرع الشاب يطرح أحاجيه عليه، ويلقي بالأغازه بين يديه، وهي تسع عشرة مسألة في مسائل النحو والصرف، فبهت الرجل وأفحم وانصاع معترفاً بفضلته وتقدمه، بل أقبل عليه يقبل قدميه، ويقر بسبقه له، ثم أنشأ البطل مجل الألغاز الواحد تلو الواحد حتى أتى على آخرها، وبذلك تنتهي المقامة.

## ٢- المقامة الجيزية

هي كسابقتها تحتوي على عناصر المقامة التقليدية، ففيها البطل، والراوية، وتشتمل على الأحاجي والألغاز، حيث يبدأ كل واحد من الحاضرين بتوجيه سؤاله إلى البطل، ثم يقوم البطل بأن يجيب الأول، فالثاني، فالثالث، ثم يطلب منه الراوية بأن يضرب له سهماً، كما كان لأصحابه، فيعطيه بغيته، وينيله طلبته،

ثم ينفضوا من حيث جاؤوا، ويعودوا من حيث أتوا، وهذا تختم المقامة.

### ٣- المقامة المصرية

هي كأختيها تلتزم بنمط بديع الزمان للمقامة، فيبدأ الراوية بالحكاية عن نفسه للخروج، وكيفية تأهبه للذهاب إلى المصلى في يوم عيد الفطر، ثم يدلف إلى المصلى ويجلس على مقربة من الخطيب، وبعد قضاء الصلاة بدا شاب بهيئة حسنة، وشارة مستحسنة، وأنشأ الراوية يصفه بالنعوت الحميدة، والسجايا الفضيلة، مما جعلته محبوباً مرغوباً، فاسترعى انتباه الحاضرين، وشرع في إلقاء خطبته الوعظية المؤثرة والمذكورة، بما يجب عليهم في هذا اليوم من إخراج صدقة الفطر ومعرفة مقدارها، وعلى من تجب، ولمن تعطى، ومتى يتم إخراجها وما إلى ذلك، ثم جعل يذكر الناس بنعم الله العظيمة، وآلائه الجزيلة، التي تجعلهم يعظمونه ويشكرونه، بما أولاهم وحباهم بالإيمان وإتمام الصيام، وبعد نهاية الخطبة تعرف الراوية على هذا الشاب المنطيق، الفصيح اللسان، البليغ البيان، وكان قبل ذلك يتلهف لملاقاته، ويكثر من التساؤل عنه ليصل إليه، وقيل الافتراق يعطيه البطل أبو بشر بيتين<sup>(٤٢)</sup> من نسيجه، ثم ينصرف الراوية متأسفاً على فراقه.

اعتمد المؤلف على السجع وتوافق الفواصل: "فحضرت المصلى لأحوز فضيلة الصلاة، وأفوز

بجميل الصلوات، فجلست بمرجع رحيب، ومسمع من الخطيب".

"الله أكبر ما صام فم، وصين دم، وأزيح هم، وارتيح بشم، ورفع من العلوم ضم".

"وأرسله بالدين الفائق، والشرع الرائق"، "وأخرجوا زكاة فطرهم، تبتهجوا بنهائ قطركم"، "يا بارقة المزن وبقاعة الزمن".

- التشبيهات بأنواعها المختلفة: "فلما ارتفعت الغزالة كالقيد"<sup>(٤٣)</sup>، "وإذا بشاب قد صعد المنبر، بلسان كأنه المزير"، "يفتر عن مبسم كأنه الدر في عقبانه، ويسفر عن مبسم كالزهر في إبانه، لابسا حلة دهماء، كأنه البدر في الظلماء"، "وحباه بنفائس الخصيصات، وجلاه كالعرائس على المنصات".

- الاستعارات: "أشرق شمس الفضائل على هام الجبال الشامخة"، "وأودق مزن الفواضل على أعلام الكمال الراسخة"، "فتعلقت بذبوله بعد نزوله".

- التورية في البيتين:

٤٢- تقدم ذكر البيتين.

٤٣- القيد بالكسر: القدر. القاموس المحيط، ج ١، ص ٣١٦.

منبري طاب سره لويك الوعظ من بري

عنبري ضاع نشره لورويناه عن بري<sup>(٤٤)</sup>

#### - صفات البطل في هذه المقامة

- ١- المقدرة على الخطابة.
- ٢- الهدنام الحسن والصورة الجيدة.
- ٣- الفصاحة والبلاغة في خطبته.
- ٤- المقدرة على قرض الشعر.

#### - صفات الراوية

- ١- التدين والالتزام بحدود الشرع.
- ٢- الحرص على العلم والمعرفة.
- ٣- البحث عن العلماء الأكفاء أصحاب القدرة على العطاء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف أحسن ترتيب المقامة، وأجاد في رصفها وتسلسلها، ولكنه سها عن إيراد شيء من القرآن الكريم، فجاءت شوهاء خالية من الذكر الحكيم.

#### ١- المقامة المكية

وهي على شكل المقامات السابقة كما سبق ذكره، يبدأ الراوية حديثه عن الرحلة الشاقة التي تكبدها للوصول إلى مكة المكرمة، وبعد وصوله وولوجه يشع في الحديث عن انطباعاته وأحاسيسه إزاء ما راعه من المشاهد، وما رآه من المعاهد التي شاهدها لأول مرة في حياته، وفي هذا الوقت وبعد أن ألقى عصا ترحاله، ظل يستشرف للقاء بأديب يؤنسه، أو أريب يداعبه، ليخفف عنه الإعياء والتعب، وبينما هو غارق في التفكير، مشتت عقله في التدبير، إذ بجعاة من الناس مجتمعين، وطائفة متحلقين، وبينهم شاب نحيف الخلق، وضيء الطلعة، والعصبة يحوطونه، كإحاطة الهالة بالقمر، يذيعهم كلامه، ويسحرهم بيانه، ثم دلف إليهم هاشم بن القاسم، ليستكنه باطنه من ظاهره، فقال له: قد وعيت ما قلت، وفهمت ما رمت، وإني طارح عليك مسائل، طالما بحثت عن جوابها، فقال له البطل بلهفة: هات ما عندك! فطرح عليه تسعا وثلاثين مسألة، فأجاب عليها فوراً، وأشفى الغليل في إجابته. فمثلاً قال له: "أيجوز صرف يعقوب وهو من



الأعلام؟، قال: نعم، وتدخل عليه اللام" (٤٥)، ثم فك اللغز وقال: يعقوب (٤٦) يعني: ذكر الحجل، ويضيف سائلاً: "أيجوز الشرب في صحفة من نضار" (٤٧)؟ قال: نعم في السعة والاضطرار" (٤٨)، ثم بين معنى النضار، وكل المسائل التي أوردها السيوطي وبنى عليها أحاجيه، من أنواع المشترك اللفظي (٤٩)، وهي المباحث المعروفة في اللغة العربية.

## ٢- مقامة الاستنصار بالواحد القهار

في هذه المقامة لم يجز فيها المؤلف على نظام النمط القديم، فلم يجعل لها بطلا ولا راوية، بل جعلها كالمقالة المسجوعة يث فيها انتقاده لأولئك الفريق من الناس الذين يضعون الحديث على الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤلفون القصص لتسلية العامة والدمماء، فهم في كل زمان ومكان، يأتون بالخرائب، ويختلقون العجائب، ليستميلوا إليهم الناس، فاستفتي الإمام السيوطي في هؤلاء القوم، فأفتى بعدم الأخذ عنهم ولحاهم بما اقترفوه، ونعاهم لما كسبوه، إلا إذا تابوا ورجعوا عما اجترحوه، وصححو ما قالوه، وحاولوا أن يثبوه عن فتواه، بيد أنه ثبت راسخا على الحق الذي يعتقده فيهم، ومضى وكأنه لا يبالي بتهديدهم ووعيدهم، ويفهم من كلام المؤلف أنهم أهل شوكة، وكلمة مسموعة بين الجماهير، وإلا كيف يستطيعون أن يهددوا الإمام السيوطي وهو من الشهرة والمكانة ما لا تخفى على العامة فضلا عن الخاصة، فثار القوم وشيخهم ثورة كبرى عليه، وتناولوه بالسب والشتم، وتوعدوه بالقتل والحرق أو الرجم على حد وصف السيوطي لو عيدهم له، وأعانهم قوم آخرون لهم سابقة أذى له، لكن الله لطف به ورد كيدهم إلى نحرهم، وجعل الدائرة تدور عليهم، فهو في هذه المقامة يعزي نفسه ويسلي ذاته، بما أصابه من هؤلاء الظلمة المتجاوزين، لذا ذكر نفسه بآيات الصبر، وآثار السلف الصالح في الصدع بالحق، وأنه السبيل لنيل درجة الأولياء الأتقياء من الصالحين والعلماء، وفي نهاية المطاف أقسم المؤلف أنه لا يتكلم ولا يفتي في مسألة حتى لو رأى ما رأى من

٤٥- انظر: المقامة المكية، ج ٢، ص ١١٣٥.

٤٦- قال صاحب القاموس: "واليعقوب: الحجل"، ج ١، ص ١١٦.

٤٧- قال الفيروزبادي: "والنضر والنضير والنضار والأنضر: الذهب، أو الفضة ج: نضار، بالكسر، وأنضر. والنضار، بالضم: الجوهر الخالص من التبر، والخشب، والأثل. القاموس المحيط، ج ١، ص ٤٨٣.

٤٨- انظر: المقامة المكية، ج ٢، ص ١١٣٥.

٤٩- قال صاحب تاج العروس في مقدمة كتابه: "هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة". الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، اشترك في تحقيقه مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج ١، ص ٢٥.

الكذب و الزور على الشرع، فقال: "وقد أقسمت في هذه الوقعة يمينا برة أن لا أتكلم بعدها في مسألة ولا أنطق بحرف في حل مشكلة، إن سألني سائل لم أذكر له جوابا، وإن أخطأ مخطئ لم أبين له صوابا! وإن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث كذب وسئلت عنها سكت" (٥٠). واعتزل الناس وتركهم لحاهم حيث قال: "وقد سددت الباب، وشدت الحجاب، وتركت أصل الفتاوي وفرعها، وتوقيت شر من لا أطيق شره، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾" (٥١). وهكذا يقف الإمام السيوطي من قومه ومجتمعه هذا الموقف الذي ينبئ عن إعداره إلى الله، وأنه سلك كل السبل لإزالة المنكر، وعند عدم الاستطاعة والقدرة على إزالته، اعتزلهم وما يقولون، وإن كنا لا نوافق فيه ذهاب إليه، فإن الذي يعيش مع الناس، ويصبر على أذاهم مهما كان نوع الأذى خير وأحب إلى الله، ولعلها حالة من حالات الشعور بالإحباط والاستياء التي تعترى الإنسان بصفة عامة لا يقوى عليها إلا خاصة عباد الله.

### ٣- مقامة في وصف روضة مصر وتسمى بلبل الروضية

هذه مقامة كسابقتها ليس فيها بطل ولا راوية، وهي مقامة وصفية يصف فيها روضة من رياض مصر، كما هو اسمها، ويفاخر بها سائر الرياض في بقاع الدنيا وأصقاع الأرض، فهي تنفرد بحسنها وجمالها، تسحر الناظرين، وتخلب عقول الغادين والرائحين، ومما زادها حسنا ورونقا، قربها من نهر النيل، وما أدراك ما النيل؟ هو نهر عظيم!

ينساب ماؤه بتدفق كالبحر المائج، فالكاتب لا يرى له مثيلا ولا نظيرا، ولذلك فهو يفضل مصر بما احتوته من الذخائر، وبها حباها الله من المناظر، كهذه الروضة الغناء وذاك النيل المترجرج الماء، والمؤلف مزج الشعر بالثر حتى يخدم غرضه الوصفي، وقد أحسن في استخدام ما يؤيد ما مال إليه، كما أكثر من الأشعار التي قيلت في الروضة، ليدلل على تميزها ومدى إعجاب الناس بها، والحقيقة أن الكاتب أجاد بعض الشيء في العرض، غير أن الطريقة التي سلكها وأدار الحديث بها كانت مملة وغير جذابة.

### ٤- المقامة التفاحية

وهذه مقامة وصفية أيضًا اختار لها المؤلف سبعة أنواع من أنواع الفاكهة: الرمان، والأترج، والسفرجل، والتفاح، والكمثرى، والنبق، والخوخ، بهذا الترتيب، حيث بدأ يصف كل فاكهة مستدلا بما جاء في وصفها من القرآن الكريم وبالأثار النبوية إن ذكرت صراحة بلفظها في الأحاديث، والسيوطي وإن كان

٥٠- شرح مقامات السيوطي، ج ١، ص ٢٣٢.

٥١- المرجع السابق.

محدثا حافظا، ومفسرا عالما إلا أنه متساهل في الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة أحيانا، وإن كنا نعدده، لأن فن الأدب مما يتساهل فيه، غير أننا نراها ملاحظة ينبغي أن تسجل عليه، ففي وصفه للزمان يستدل بحديث: "ليس في الأرض رمان تلحق إلا بحبة من حب الجنان"<sup>(٥٢)</sup>.

ثم يستأنف ويذكر ما يقوله الأطباء في فوائد الفواكه ومضارها، والقارئ لهذه المقامة يشعر وكأنه يقرأ كراسا في طب الأعشاب والعقاقير، ولا يلتزم بالسجع دائما، فالكاتب يكاد ينسى نفسه أنه في مقامة ولا غرو في ذلك، فالموضوع علمي أكثر منه أدبي أو عاطفي، والمؤلف في هذه المقامة أجاد اختيار الأشعار التي أوردتها<sup>(٥٣)</sup>. وهذا إن دل على شيء، إنها يدل على ذوق الشاعر الأدبي وباعه الطويل في هذا الفن، فقد اختار جملة من الأبيات وأحسن توظيفها، للتدليل على تميزها واتسامها بصفة لا توجد في غيرها.

#### ٥- المقامة الدرية في الوباء

يؤرخ السيوطي لمرض الطاعون الذي اجتاحت البلاد الشامية والديار المصرية ومدنها سنة سبع وتسعين وثمانمائة وثمان وتسعين وثمانمائة، فيصف حال الناس وفزعهم لساع قدوم هذا المرض العضال، ويذكر إحصاء تقريبا لعدد الموتى الذين تخطفهم هذا المرض، ثم يستنطق أهل كل فن فيبدأ بالمقروء كما هو عادته في سائر مقاماته، بحيث يستعمل في كلامه على لسانهم مصطلحات كل صاحب فن في فنه التي لا يشاركه فيها غيره، ثم تنتهي المقامة بحث كل منهم الناس على التوبة والإنابة إلى الله عز وجل الذي كشف عنهم الغمة، وأزال عنهم الكربة، وأبدلهم من بعده فزعهم أمنا وأمانا وعافية وسلاما.

٥٢- الحديث أخرجه ابن نعيم بلفظ آخر عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من رمانة من رمانكم هذا إلا وهي تلحق بحبة من رمان الجنة". أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطب النبوي، تحقيق: مصطفى خضر التركي، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٦م، ج ١، ص ٤٠٧ و ج ٢، ص ٧١٤. والإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني، مختصر المقاصد الحسنة، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. ص ١٩٩. قال الزرقاني: ضعيف. وأخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ج ٤، ص ٥٩، وقال عنه: فمن أباطيله: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن ابن عباس. وساق الحديث.

٥٣- فمثلا اختار في وصف التفاحة ما نسب إلى علي بن المظفر بن إبراهيم الوداعي:

تفاحة جمعت بين لونين خلقتها خدي حبيب ومحبوب قد اعتنقا  
تعانقا فبدا الواشي فراعها فاحر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

شرح مقامات السيوطي، ج ١، ص ٣١٩.

والحقيقة أن السيوطي وفق وأجاد في وصف هلع الناس، وهم يتابعون أخبار انتقال المرض من صقع إلى آخر ومن بلدة إلى أخرى، ثم تختتم المقامة.

٦- مقامة تسمى الدوران الفلكي على ابن الكركي<sup>(٥٤)</sup>

ينتقد السيوطي في هذه المقامة على ابن الكركي الذي كان معاشيا له في مصر، ويذكر أن هذا الأخير خدم الأمراء والسلاطين، فأغدقوا عليه المال وصبوا عليه الدنيا صبا، غير أنه لم يتواضع ويعلم أنه ابتلاء وامتحان، كما قال بنص عبارته: "فما ذكر حاله الأول، ولا جنح إلى التواضع ولا عول، بل شمع بأنفه والراس، وشمر مناخره على الناس، وصال على الكبير والصغير وداس"<sup>(٥٥)</sup>، ثم إن هذا العالم شخص إلى الحج، ثم عاد فهرع إليه الناس من العلماء والدهماء، لكن السيوطي لم يكتف بقدمه، ولم ينهد إليه، فاغتاظ الشيخ، وحنق عليه، ووجد في نفسه مما جعله يبنزه ويحط من شأنه، كلما سمع اسمه، أو مر على رسمه، ويحكي المؤلف السيوطي أنه كان له راتب يجري على يديه فمنعه منه، ما يقارب سنة، ليجبره على القدوم عليه والاعتذار له، ولكنه لم يفعل، ثم يمضي ويذكر طرفا من عجرفته وزهوه على حد تعبيره ووصفه منتحلا سمت العلماء الراسخين والجهابذة المتخصصين، واللواذعة المتبحرين حيث دعا إلى المناظرة، وأتى له أن يقابل أو يناجز حبر المسلمين، وقدوة العلماء المتقنين مولانا جلال الدين السيوطي، ثم يسرد نماذج من الفنون وصنوف العلوم التي يتقنها ويجيدها، فيقول مستفها: لو سألته في الفقه ومشكلاته، والأصول ومعضلاته، والنحو وأحاجيه وألغازه، والحديث وعلمه وشواذه ورجاله... فما سيكون جوابه، ثم ينعاه بأنه لا يعي أدب المناظرة وأهدافها وشرائطها، مذكرا إياه بهدفها والغاية منها. هذا ما ينتقده السيوطي على قرينه الشيخ ابن الكركي، وأحب أن أنبه وأذكر بقاعدة جلييلة ذهبية قالها الإمام الذهبي رحمه الله: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبا به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم

---

٥٤- هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الكركي، أبو الوفاء، برهان الدين: قاض، من فقهاء الحنفية، أصله من الكرك في شرقي الأردن وإليها نسبته، ولد بالقاهرة، وتوفي بها غريفا في بركة الفيل، قرأ على علماء مصر، واتصل بقايتباي في أيام إمارته، فصحبه، وارتقى قايتباي إلى السلطنة فكان ابن الكركي من خاصته، يصحبه في إقامته وأسفاره، ودخل معه دمشق، وحلب، وبيت المقدس، والحرمين، ثم تغير عليه السلطان سنة ٨٨٦هـ فاعتزل في بيته يفتي ويدرس، وولي قضاء الحنفية سنة ٩٠٣هـ في أيام الناصر ابن الأشرف، وعزل سنة ٩٠٦هـ. الضوء اللامع، ج١، ص ٥٩-٦٤، والأعلام، ج ١، ص ٤٦.

٥٥- شرح مقامات جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٣٧٢.

الله، وما علمت أن عصرا من الأعصار، سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس! اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" (٥٦).

مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي (٥٧)

وسبب تأليف السيوطي لهذه المقامة، ونقده اللاذع للسخاوي يرجع إلى ثلاثة أمور كما ذكرها في مقدمة الدوران الفلكي وإليكها:

- ١- أن قارئاً قرأ علي بالشيخونية في الشفاء حرفاً لحن فيه فرددت عليه، فأخذ السخاوي يفقيه بتصويب ما ذهب إليه، والمسألة في علم التصريف.
- ٢- أنه تكلم في حق والدي المصطفى صلى الله عليه وسلم بما لا يحل لمسلم ذكره.
- ٣- أنه ألف تاريخاً ملاًه بغيبة المسلمين، ورمى فيه علماء الدين بأشياء أكثرها مما يكذب فيه وتملق، فألفت المقامة التي سميتها الكاوي في تاريخ السخاوي نزهت فيها أعراض الناس، وهدمت ما بناه في تاريخه إلى الأساس من غير أن أرميه بعيب، ولا أذكره بغيب، وهذه قرينة أبتغي من الله أجرها، وأرجو عنده ذخرها (٥٨).

ففي هذه المقامة النقدية يرد السيوطي على تاريخ السخاوي المعروف ب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ويصفه بأنه أكل لحوم العلماء، ولغا في أعراضهم، ولم يفرق بين محسنهم ومسيئهم، حيث قال: "ما ترون في رجل ألف تاريخاً جمع فيه أكابر وأعياننا، ونصبه لأكل لحومهم خوانا، ملاًه بذكر المساوي، وتلب الأعراض، وفوق فيه سهاماً على قدر أعراضه، والأعراض هي الأغراض، جعل لحم المسلمين من جملة طعامه وإدامه". ثم ينعه بأنه ليس له قدم ولا رسوخ في العلم حيث قال: "وهو على هذا حقير نقير لا يباع في سوق العلم بقطمير... ولا يزداد إلا جهلاً على كر الأيام وممر الليالي، قد عري من أثواب العلم"، ثم يصمه بالجهل بأصول المسائل فضلاً عن الفروع والدقائق. "إن سئل عن مسألة في الاستنجاة لم يحسن الجواب في إيرادها، أو طرأت له في الصلاة حادثة، لم يدر صحتها من إفسادها، فضلاً عن مسائل الزكاة والصيام، أو فروع الاعتار وحجة الإسلام"، ثم يعيب عليه باللحن في الكلام، والتصحيف والتحريف في

٥٦- ميزان الاعتدال، ج ١، ص ١١١.

٥٧- شرح مقامات جلال الدين السيوطي، ج ٢، ص ٩٣٣.

٥٨- انظر: مقامة الدوران الفلكي، ج ١، ص ٣٩٤-٣٩٥.

الأسماء، ودقائق الفنون والأعلام قال: "وأما لحنه السمج، ولفظه الركيك اللمج، فانظر إلى تاريخه وغيره، تجد فيه من ذلك العجر والبحر، وعين الهبال الذي هو كالدمل، لا كالصبح ولا الماء إذا انفجر"، ثم يقسو عليه أشد القسوة ويصفه بالكفر عندما خالفه في فتواه رؤية الأنبياء في اليقظة على وجه الكرامة، وأن المسألة مجمع عليها عند أهل العلم، فاعترض عليه السخاوي فأجاب السيوطي: "بلغوا هذا الأحمق! أن هذا القول يؤول إلى الكفران، ويتضمن استقصار القدرة، إذ هي مناط الإمكان، وما ينكر قدرة الله على أحوال الأموات وإراءتهم في هذه الدنيا للبشر، إلا من أشرك بالله، وأنكر القدرة على الإعادة وكفر! وقال فيه هذين البيتين: (من مجزوء الرجز)

إن السخاوي فشر وقال هجرا وكفر

أراد أن ينكر ما صرنا إليه فكفر

ثم أخذ يخاطب الناس، وينصحهم بنقد كتاب تاريخ السخاوي، وأنه لا طائل منه، ولا فائدة فيه: "فالواجب على كل مسلم أن يطرح تاريخ هذا الرجل طرْحًا، ويضرب عنه صفحًا، ولا يصغي إليه قدحًا ولا جرحًا، ويمسح أثره ما استطاع مسحًا".

#### الصور البيانية الواردة في المقامة

- "ورددت فيها عن عرض أقوام لعلهم حطوا رحالهم في الجنة".
  - "ونصبه لأكل لحومهم خوانا".
  - "ولا يبلغ العلم، ولو ثقت بالماس فهمه".
  - "إذ هو كمن سأل الأعمى أن يتصدى لرؤية الهلال، أو استنطق البكم أو العجم أو الجبال".
  - "فلما بلغه ذلك نفخ في أشداقه، وقلب أحداقه".
  - "وكان من قوله أن قال: هذا مستحيل، وزأم كأنه في خطب جليل".
  - إيراد أفعال من الأجوف الثلاثي المتفقة في الحرف الأول في نسق واحد، والأفعال الرباعية المضعفة كذلك.
- "وصاح، وصال، وجاب وجال، وعاب وعال، وقاح وقال، ومان ومال، وهان وهال، وهينم وهمهم، ورمرم وزمزم، ومححم ودمدم، وجلجل وزلزل، وصلصل وقلقل، ووهوه وولول".

والحقيقة التي لا مرأى فيها أن السخاوي ليس كتابه على هذا الشكل الذي وصفه به السيوطي من البشاعة والذم، حتى ولو سلمنا ما كان فيه من التحامل على بعض ممن يخالفونه من معاصريه، لا يصل إلى درجة نقد السيوطي له، ولقد غمز السخاوي السيوطي في تاريخه<sup>(٥٩)</sup> ونقده بعض النقاد، ولكن قسوة السيوطي على السخاوي أشد وأنكى، وأحد وأمضى.

ومرد هذا كله هو ما يحصل بين الأقران والمتعاصرين، نتيجة الأغراض الشخصية والأهواء، والحسد والغيرة والشهرة وطلب الثناء، وغيرها من الأمراض والأدواء - أعاذنا الله أجمعين - والمطلوب منا كطلبة للعلم أن لا ننساق وراء هذه المباحكات، وأن لا نقبل قول بعضهم في بعض، لنستفيد من علمهم، ونظهر ألسنتنا من لمزهم أو غمزهم لبعضهم، ولا نخوض فيما جرى بينهم.

وقد صرح السخاوي في مقدمة تاريخه بالتحري والإنصاف في الحكم على من يترجم لهم فقال: "ثم ليعلم أن الأغراض في الناس مختلفة، والأعراض بدون التباس في المحذور مؤتلفة، ولكنني لم آل في التحري جهدا ولا عدلت عن الاعتدال فيما أرجو قصدا، ولذا لم يزل الأكابر يتلقون ما أؤديه بالتسليم، ويتوقون الاعتراض فضلا عن الأعراض عما ألقيه... وقال غير واحد ممن يعتد بكلامه وتمتد إليه الأعناق في سفره ومقامه: من زكيته فهو المعدل ومن مرضته فالضعيف المعلن إلى غيرها من الألفاظ الصادرة من الأئمة الأيقاظ... والله أسأل أن يجنبنا الاعتساف المجانب للإنصاف، وأن يرزقنا كلمة الحق في السخط والرضا، ويصرفنا عما لا يرتضي ويقينا شر القضا"<sup>(٦٠)</sup>.

#### نتيجة البحث

- ١- السيوطي أديب بارع، وكاتب مقامي مقارع، وعالم لغوي راسخ القدم في العربية.
- ٢- على الرغم من كل المؤهلات والكمالات والمواهب الربانية، والمجاهدات الإيمانية إلا أن قدحه في السخاوي، ونيله منه غير مبرر ولا مقبول وهو محمول على المنافسة والمعاصرة.

٥٩- الضوء اللامع، ج ٤، ص ٧٠.

٦٠- المرجع السابق، ج ١، ص ١٩.

- ٣- المقامات السيوطية كشفت الضعف البشري والنفسي للإنسان، مهما كان عالماً أو فقيهاً أو محدثاً أو مفسراً.
- ٤- المقامات السيوطية كشفت براعة المؤلف على المجازاة، وقدرته على التحدي على الرغم من صغر سنه حينما كتب المقامات الأربع الأولى.
- ٥- المقامات السيوطية جددت في أغراضها، ونوعت في مواضيعها، وصارت قلباً فنياً لتقد المجتمع حكماً ورعية.
- ٦- المقامات السيوطية مرآة عاكسة لفئة مؤثرة ومهمة للمجتمع ألا وهي الحكام والعلماء.
- ٧- المقامات السيوطية وثيقة تاريخية تؤرخ لبعض الحوادث والنكبات كمرض الطاعون وآثاره السلبية والنفسية.

\*\*\*\*